الحُلّة الخراسانية تكسي الكعبة الشريفة

آصف فكرت

السطور القليلة القادمة تحكي قصة حَدَثٍ تأريخيّ مهم في القرن التاسع الهجري، ألا وهو مراسم إكساء الكعبة الشريفة بأول حُلّة صنعت بأيدٍ خراسانية. وكان ذلك بهمّة شاهرخ بن الأمير تيمور غوركان، وقد عمل المذكور جهده كما ستقرأ ذلك فيما بعد ـ ولفترة طويلة من حكمه ـ للوصول الىٰ مراده ذاك. ولهذا السبب كان قد ارسل عدّة بعثات الىٰ مصر؛ لإثبات حُسن النيّة، وصرف في سبيل ذلك مبالغ طائلة حتىٰ نال في النهاية هدفه، ولولا ذلك لاقتصرت مسألة إكساء الكعبة على العرب وحدهم، ولحُرِمَ غيرهم من الأمم المسلمة شرف ذلك.

لقد ظَلَّ موضوع اكساء الكعبة ـ ومنذ العهد الجاهلي حتىٰ عهد الخلفاء وعلىٰ مرّ العصور ـ موضع اهتمام المؤرّخين والمحقّقين، ويمكن الوصول الىٰ ما يتعلّق بهذه المسألة بمجرد الرجوع الى المصادر المتعلّقة بذلك الموضوع. وليس هدفنا من هذه المقالة الموجزة إلّا الإطّلاع علىٰ جوانب بسيطة من هذا الموضوع، والاشارة إليه دون إطناب أو تفصيل.

روى القلقشندي في «صبح الأعشىٰ» نقلاً عن «أخبار مكّة» للأزرقي قوله: إنَّ أسعد الحميري (من تابعية اليمن) كان أول من كسا الكعبة الشريفة بـالحُلّة في زمن الجاهلية.

حُلّة الكعبة أيام الجاهلية:

كانت الكعبة الشريفة تُكسىٰ بأقمشة وحُلَل ملوّنة ومـتنوعة في الجـاهلية. وكانت تلك الحُلّة في الزمن المذكور تُصْنَعُ وتهيئ بمعونة مختلف القبائل ومساعدة الجماعات وهمّتهم، حتىٰ اقترح أحد التجّار آنذاك ـ ويُدعىٰ أبو ربيعة عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان يعمل بالتجارة مع اليمن ـ أن يقوم هو بإكساء الكعبة سنة ويُلبسها كسوتها وتقوم قريش كلّها بذلك سنة أُخرىٰ. فاستمرّ ذلك النهـج حـتىٰ توفي أبو ربيعة. والجدير بالذكر أنّ الكعبة كانت تُكسىٰ بالنّطع (وهو نوع من الجلد) مدّة من الزمن.

في صدر الإسلام وما بعده:

كُسيت الكعبة أيام حياة رسـول الله ﷺ بـالنسيج اليمـانيّ، وسـار الخـلفاء الراشدون علىٰ هذا النهج كذلك. وكان لون تلك الحُلّة في تلك الأيام أبيض أحياناً أو أحمر أحياناً أُخرىٰ. وأمّا خلفاء بني العباس الذين كان شعارهم اللون الأسود فقد ألبسوا الكعبة بلباس أسود أيضاً.

فلمّا استولىٰ ملوك مصر على الحجاز اقتصرت مسألة إكساء الكعبة عليهم وحدهم، فدام هذا النهج حتى القرن التاسع للهجرة.

وأمّا الحَدَث الذي نحن بصدده في هذه المقالة فيرجع تأريخه إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وذلك أيام حكم المماليك في مصر ـ الملك الأشرف حتى الملك الطاهر ـ وحاكم خراسان أو كما يسميه المؤرخون العرب بـ«ملك الشرق»

شاهرخ ميرزا (ولد سنة ٨٥٠هـ) بن الأمير تيمور غوركان.

طموح وهمّة شاهرخ:

اعتلىٰ شاهرخ عرش خراسان الكبيرة بعد وفاة الأمير تيمور سنة ٨٠٧هـ. واتّخذ هرات عاصمة لحكمه. وتُعدّ فترة حكمه بحقّ من ألمع فترات الحكم وأكثرها ازدهاراً في مجال العلم والفن والعمارة والبناء في هذه البقعة من الأرض. وكانت فكرة إكساء الكعبة حلّتها تدور في ذهنه منذ ارتقائه عرش أبيه، وكانت هي أمله الوحيد الذي كان حِكراً على الحكام العرب حتىٰ ذلك الحين، ولم يكن لأحد من العجم حَقٌّ في أداء ذلك على الإطلاق.

وكان شاهرخ في الحقيقة يهدف من وراء كلّ ذلك الحصول علىٰ شرف معنويّ لا مثيل له أوّلاً، وثانياً كان يريد كسر طَوق التمييز بين مختلف الأقوام المسلمة والنهج اللامنطقي لمماليك مصر، وثالثاً العروج الى المرتبة العُليا بين الأُمم. يصف عبد الرزاق السمرقندي، صاحب مطلع السعدين، شاهرخ بأنّه «كان يحمل في جنباته دوماً طموحاً لا يُقاوم وهو إكساء بيت الله الحرام بالحلّة علىٰ يديه متىٰ طُلِبَ منه ذلك، إلّا أن هذا الطموح لم يكن ليحدث علىٰ أرض الواقع دون إذنٍ من سلطان مصر».

المحاولة الأولىٰ:

شرعَ شاهرخ بإعداد أرضية مناسبة لمحاولته الأولىٰ منذ عام ٨٣٣هـ. ويذكر مؤرخو مصر أن مبعوث شاهرخ ملك شرق (خراسان) وصل الى القاهرة في ٢٤ محرّم سنة ٨٣٣هـ. وقام بتسليم الملك الأشرف رسالة من السلطان المذكور. وأمّا الرسالة فقد تضمّنت ثلاثة أمور رئيسية، هي:

الأمر الأول: كان شاهرخ قد طلب في الرسالة في بداية الأمر اهداءه كتابَيْنَ هما:

١ ـ شرح البخاري لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني.
٢ ـ تاريخ السلوك لدول الملوك لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي.

هذا الأمر يذهب بنا الىٰ مدىٰ اهتمام الحلقات العلمية في هرات بالاكتشافات الجديدة في عالم العلوم في تلك الحقبة.

الأمر الثاني: كان شاهرخ قد ذكر في رسالته تلك أنّه كان قد نَذَرَ أن يُهيّء حُلّة للكعبة الشريفة ويرسلها لإكسائها هناك، وأمّا الأمر الثالث: فقد أبدىٰ شاهرخ اقتراحه في فتح غدير ماء ويجريه الىٰ مدينة مكّة، وكأنّه أراد بذلك أن يضع التجارب الخاصة بالإرواء والسّقي بواسطة القنوات ومجاري المياه، المعمول بها في خراسان آنذاك موضع الفعل في مدينة مكّة للاستفادة منها هناك.

ويذكر ابن تغري بردي مؤلّف كتاب «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» أنَّ أيّاً من مطالب ملك الشرق لم تُجَبْ من قِبَلِ ملك مصر، علىٰ خلاف ابن إياس مؤلّف «بدائع الزهور» الذي كتب يقول: انّ السلطان قام بإرسال شرح البخاري وتاريخ المقريزي الىٰ شاهرخ، إلّا انّه امتنع عن قبول اقتراح شاهرخ بإرسال حُلّة للكعبة الشريفة، أو في فتح القناة الىٰ مكّة. وكتب الملك الأشرف الىٰ شاهرخ يقول: إنَّ هناك أوقافاً تجرىٰ لتهيئة حُلّة الكعبة، وأنّه لا حاجة لأيّ من الملوك في تهيئة ذلك. وأمّا ما يتعلّق بالقناة فقد ذَكّرَ الملك الأشرف شاهرخ أنّ في مكة آباراً وعيون ماءٍ كثيرة، ولا داعي لإنشاء غيرها (ويظهر أنَّ الملك الأشرف لم يكن علىٰ عِلم أو اطلاع حول ما قصده شاهرخ من قنوات ومجارٍ مائية، ولعلّة حسبها كآبار عاديّة وعيون كالتي توجد في مكّة).

وذكر ابن حجر كذلك أن ثلاثة مجلّدات من «فتح الباري بشرح البخاري» أرسلت الىٰ ملك الشرق.

غضب وتهديد:

كان لرفض حاكم مصر اقتراح شاهرخ وقعه الشديد علىٰ هذا الأخير، وأثار

غضبه وسخطه، فقام بإرسال مبعوث آخر يُدعىٰ هاشم شريف الى القاهرة حَمّله رسالة تهديدية لملك مصر. فوصل هاشم شريف القاهرة يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من تلك السنة. وخَلَتْ رسالة شاهرخ من البسملة والختم المعهود، والتي دَلَّت علىٰ مدىٰ غضب ملك الشرق (سلطان خراسان) واستيائه. وابتدأت الرسالة بالآيات الشريفة من سورة الفيل: ﴿**ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل...**﴾ ولم يذكر شاهرخ أيّ لقب رسميّ أو غير رسميّ، وكانت الرّسالة على العموم تنمُّ عن تهديد ووعيد لملك مصر. وعلىٰ قول المقريزي كانت الرسالة مدوّية كالرّعد وقوية كالصاعقة. وكان شاهرخ، مع كلّ ذلك، قد أرسل بهدية الىٰ حاكم مصر ذكرها صاحب «بدائع الزهور» باسم «الهدية الغشروية».

إلّا أنّ الملك الأشرف لم يخضع لرسالة شاهرخ ولا تهديدها، بل بعث جواباً عليها لا تقلّ شدة في اللّهجة عن تلك التي أرسلها شاهرخ، وعلىٰ رأي ابن أياس «من دقَّ الباب سمع الجواب». هذا وتكررت رسائل العتاب والمعاتبة، التي بعث بها شاهرخ إلّا أنّه لم يَلْق النتيجة المرجوّة. وكتب ابن تغري بردي ـ الذي تنمّ كتاباته عن آثار ومواطن كثيرة ترمز الى العنصرية واللّون ـ فيما يتعلّق بمسألة العِناد، الذي أبداه الملك الأشرف ورفضه مقترح شاهرخ: لقد كان صمود وثبات الملك الأشرف إزاء مرامات شاهرخ ومطالِبِهِ ـ وذلك بعد فتح قبرص ـ أهم ما قامَ به الملك الأشرف طول سنيّ حكمه.

وكتب أيضاً: إنَّ الملك الأشرف باحتكاره مسألة إكساء الكعبة بحلّتها قد حفظ لمصر هيبتها وحرمتها، ولحكام مصر شأنهم ومنزلتهم الىٰ يوم القيامة. ولا جرم أنَّ ما دُوِّنَ من قِبَلِ مؤرخين مصريين في هذا الشأن يدلُّ بوضوح علىٰ أنّ ابن تغري بردي كان يُبالغ في كتاباته ويشطط فيها، وأنّه كان من المتملقين لحكام مصر، ويبدو من فحوى الرسالة التي بعث بها شاهرخ الى الملك الأشرف فيما بعد أنَّ شاهرخ يقوم بطمأنة الملك الأشرف علىٰ وصول هداياه.

مبعوث آخر:

كان تاج الدين علي بن عبد الله الشريف مبعوثاً آخر من قِبَلِ شاهرخ، حمل معه هدايا ورسالة تتضمّن إثارةً للمقترح السابق، وكان تاج الدين صهر السيّد الشريف الجرجاني، كما روىٰ ابن حجر الذي كان قد رآه بنفسه: وصل المبعوث المذكور في ٢٧ محرم ٨٣٨هـ. قام شاهرخ بذكر نذره السابق في الرسالة حول إرسالة حُلّة للكعبة الشريفة لتعليقها داخل الكعبة، وطلب من الملك الأشرف إرسال مبعوث من قبله الىٰ هرات ليستلم الحلّة المذكورة.

فدعا الملك الأشرف قضاةً من المذاهب الأربعة، وأقام لهم مجلساً، وقرأ عليهم اقتراح شاهرخ، وطلب منهم إبداء رأيهم، وإصدار فتوىٰ بهذا الشأن. فأجاب قاضي القضاة بدر الدين الحنفي: أنَّ مثل هذا النذر لا أساس له.

هذا وقد انتقد ابن حجر قضاة المذاهب الأربعة أشدّ انتقاد، وذكر بعض أجوبتهم، التي لا تنسجم ومنطق العقل. وذكر ما قوله: «لقد قام بعض القضاة بكتابة الأسئلة والأجوبة المتعلّقة بهذا الموضوع دون أن يُطْلَبَ منهم ذلك. وكتب البعض الآخر قائلين: إن من شأن هذا النذر أن يعطّل الوقف وهو ممّا لا يجوز». وكتب أحدهم يقول: «إنّه لما كان هذا العمل من شأنه أن يتحكّم بسلطان مصر فهو غير جائز». وأمّا السلطان فقد كان رأيه غَلْق هذا الباب تماماً؛ لئلا يتيح لسلاطين آخرين فرصة إكساء الكعبة. ويذكر ابن حجر أن رأيه كان كما قال السلطان؛ لأنّ من شأن هذا العمل أن يفتح المجال للآخرين للدخول الىٰ هذا الملعب.

ورافق الشريف تاج الدين، أثناء عودته الىٰ خراسان، أُقطوة موساوي مؤيّدي المضيّف حاملاً رسالة جوابية من السلطان في مصر الىٰ شاهرخ.

أمر الكعبة مناطٌ بملوك مصر:

وكتب الأشرف في رسالته الىٰ شاهرخ: أنَّ مسألة إكساء الكعبة الشريفة أمرٌ مناطٌ بملوك مصر ومتعلّق بهم دائماً وهم، أي ملوك مصر، يقومون بتهيئة الأموال

اللازمة لعمل ذلك من دار الأوقاف المخصّص لهذا الغرض. وكان السلطان الأشرف قد اقترح علىٰ شاهرخ أن يبيع الحلّة، التي صنعها للكعبة ويتصدّق بمالها علىٰ فقراء مكّة إن هو أراد أن يَفِيَ بنذره مِمّا سيضاعف له الثواب، ويستفيد أكبر عدد ممكن من الناس من ذلك المال.

وفي ٤ شوال وصلت رسالة من شاهرخ الى القاهرة تتضمن تهديداً وانتقاداً لما يُؤخذ من التجار من أموال باسم (حَقّ النزول الى الميناء)، وتلمّح الرسالة ضمناً أنَّ شاهرخ يعتزم التحرّك باتجاه القدس الشريف.

وأمّا اقطوة ـ مبعوث سلطان مصر ـ فقد رجع الى القاهرة في ٢٨ جمادى الآخر عام ٨٣٩هـ. ثم وصل علىٰ إثره في صباح اليوم التالي الشيخ صفا مبعوث شاهرخ الى القاهرة حاملاً رسالة أُخرىٰ من ملك الشرق.

كيف عومِلَ الرسول؟

استقبل الملك الأشرف الشيخ صفا الهروي في الاصطبل السلطاني، وقام الشيخ بتلاوة رسالة شاهرخ بصوت عالٍ، وكان الملك الأشرف يستمع. وأمّا الرسالة فكانت تسمّىٰ ـ بلسان شاهرخ ـ سلطان مصر نائباً لشاهرخ، ويأمره فيها أن يبدأ خُطَبَه ويضرب المسكوكات النقدية باسمه. فلمّا انتهى الشيخ من قراءة هذه الفقرة من الرسالة، تقدّم الشيخ نحو السلطان ليسلّمه الخلعة، التي أرسلت إليه من خراسان لكي يلبسها، وكذلك أرسل مع الخلعة المذكورة تاجاً للملك الأشرف.

فشاط بالملك الأشرف الغضبُ، وأمر بتمزيق الخلعة، وأُمِرَ بالشيخ التّعيس فضُرِبَ ضرباً مبرحاً، وغطِّسَ بالمسكين في حوض الإصطبل في يوم ذي زمهرير، حتىٰ شارف الشيخ على الموت، ولم يتجرأ أحد على التوسّط لإنقاذه. ويقول ابن تغري بردي ما شرحه: أنّه لم يَرَ السلطانَ في هذه الحالة من الغضب فيما مضىٰ قطّ. ثم دعا السلطان الشيخَ صفا وسلّمه رسالة تحتوي علىٰ مضامين عنيفة وعبارات شديدة جواباً علىٰ من بعثه. ومن بعض ما قاله السلطان في رسالته هو أنّه لن يقبل

شاهرخ هذا أن يكون حتىٰ أصغر حرّاسه الليليين في أقصىٰ قرية تقع تحت ملكه، وهو يدعوه نائباً له علىٰ مصر. فأمر أن يُطرد مبعوث شاهرخ ومرافقيه من مصر ويركبوا البحر راجعين. فوصل الجماعة الىٰ مكّة، وظلّوا هناك حتىٰ جاء موسم الحجّ فأدّوا المراسم، وطفقوا راجعين الىٰ بلدهم.

وأمّا ابن تغري بردي فقد وصف ضرب وشتم مبعوث شاهرخ وتمزيق الرسالة بأنّه من أفضل أعمال الملك الأشرف وأقدرها، وقام بكيل المديح له علىٰ فعلته تلك، التي لم تكن لتُضاهيها فعِلةٌ أُخرىٰ طول فترة حكم السلطان المذكور. وأمّا الملك الأشرف فلم يبق علىٰ قيد الحياة بعد تلك الواقعة طويلاً، حيث مات سنة ٨٤١هـ. وتسلّم العرش مكانه ابنه الملك العزيز، الذي لم يدم حكمه فترة طويلة، وخُلِعَ عن ملكه وارتقى العرش مكانه الملك الظاهر.

حُلم السائس الذي تحوّل الىٰ واقع!

في يوم ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٤٣هـ. دعا الملك الظاهر مبعوث شاهرخ القادم من هرات، وكتب مؤرخو خراسان من جملتهم عبد الرزاق وخواند مير يقولون: كان جقماق بيك ـ وهو نفسه الملك الظاهر ـ سائساً أيام حكم الملك الأشرف. فرأىٰ في ليلة حُلماً وكأن شاهرخ رفعه وأجلسه على العرش. فلمّا وصل جقماق هذا الى الحكم، أرسل معبوثاً الىٰ شاهرخ في هرات يُدعىٰ جيجكتوقا، الذي كان من الأمراء الخاصين عنده. فوصل جيجكتوقا الىٰ هرات في ٨٤٣هـ. ووُفِّقَ الىٰ تقبيل يد شاهرخ.

مبعوث مصر يلقىٰ حفاوة بالغة:

سأل شاهرخ المبعوث المصري عن أحوال الملك الظاهر بعد أن أجلسه عن يمينه، وأقيم له استقبال منقطع النظير وضيافة كريمة، وكانت معظم الأواني والأطباق المستخدمة في تلك الضيافة مطعّمة بالجواهر الحمراء. وأقام له الأمراء الآخرون ضيافة مستقلّة وقدّموا إليه هدايا ثمينة جدّاً.

علماء مصر يطلبون كتباً من خراسان:

وفي هذه المرّة علىٰ عكس المرّة السابقة طلب علماء مصر من خراسان كتباً عِدّة. وتقدّم جيجكتوقا بطلبٍ من السلطان جقماق (الملك الظاهر) لإرسال خمسة كتب قيّمة من مكتبة هرات هي:

١ ـ تأويلات أهل السُّنّة والجماعة للشيخ أبو منصور الماتربدي.

٢ ـ التفسير الكبير للعلّامة الرازي.

٣ ـ شرح تلخيص جامع للخواجة مسعود البخاري.

٤ ـ شرح الكشّاف لمولانا علاء الدين بهلوان.

٥ ـ الروضة، في المذهب الشافعي.

وروىٰ خواند مير أنّه بالرغم من وجود تلك الكتب في مكتبة هرات إلّا أن تلك الكتب أُمر بها أن تُكتَبَ بخطّ جيّد وجديد وتمَّ فهرستها، وأُعطيت الىٰ جيجكتوقا. وبعد أن تسلَّم جيجكتوقا مبلغ (٥٠) الف دينار وهدايا ثمينة أُخرىٰ عاد الىٰ مصر. وأُعطي لكلّ خادم له وهم خمسون، الف دينار كهدية له إضافة الى الفرس والحُلّة الشخصية. ثم أمر شاهرخ حكّامهُ في اصفهان وشيراز ويزد وكاشان أن يقوموا باستقبال مبعوث مصر ومرافقيه أحسن استقبال، وأن يقدّموا لهم ما استطاعوا من الهدايا.

المبعوث الذي قضىٰ نحبه في الطريق:

قام مولانا حسان الدين مباركشاه پروانجي أحد علماء هرات بمرافقة مبعوث السلطان المصري حتىٰ مصر إلّا أنّه قبل بلوغه القاهرة توفي في (١٣ ربيع الآخر ٨٤٤هـ) وقام ابنه خواجة كلان أو كلال نيابة عنه بايصال هدية شاهرخ ورسالته الى القاهرة.

عاصمة مصر تزدان بمبعوثي خراسان:

وصل الخواجة كلال ومرافقوه الى القاهرة في ٢٦ ربيع الثاني ٨٤٤هـ. وكانت

العاصمة المصرية قد زُيِّنَت بالمصابيح في كلّ ركن منها، وخرج ابن سلطان مصر مع جماعة من الأمراء؛ لاستقبال الوفد القادم. ووصف ابن تغري بردي والمقريزي ذلك اليوم بأنّه كان يوماً مشهوداً، وأن القاهرة لم تشهد طول حياتها مثل ذلك اليوم. وكان شاهرخ قد أرفق رسالته بهدايا قيّمة شملت (١٠٠) فصٍّ من الفيروز و(٨١) بالة من الحرير، وعدداً من الحُلَل والجلود والقِرَب، وثلاثين بعيراً خراسانياً وأشياء ثمنية أُخرىٰ. وتسلّم المبعوثون الخراسانيون بالمقابل هدايا قيّمة كذلك. ثم توفي الخواجة كلال ودُفِنَ الأب والابن معاً في القدس الشريف بصورة مؤقتة.

مَن صَبَرَ ظفر!

غادر السيد محمد زمزمي في ٨٤٧هـ. الىٰ مصر، فوافق الملك الظاهر علىٰ طلب شاهرخ لإكساء الكعبة بالحُلّة وأن يفي بنذره كيف ما ارتأىٰ. فأنيط أمر نقل الحُلّة الىٰ بعض من كبار رجال خراسان منهم الشيخ محمد المرشدي شيخ الإسلام وشمس الدين محمد أبهري. ويروي مؤرخو مصر أنَّ إحدىٰ زوجات تيمورلنك كانت ترافق القافلة المذكورة.

حُلّة يزدية:

كان قد تمّ صُنع حُلّة الكعبة الشريفة في دار العبادة في يزد، ثم أُرسلت الىٰ هرات وحُفِظَت في خزانة العاصمة. فحمل المبعوثون في هذه السنة (٨٤٨هـ) تلك الحُلّة وتوجهوا الىٰ مصر.

كانت ترافق الحُلّة مجموعة مؤلّفة ممّا يقارب مئة شخص. فلمّا وصلت القافلة الى الشام استقبلهم أمراء وأعيان تلك المنطقة بحفاوة بالغة. وأثناء وصولهم الىٰ مصر في يوم الخميس ١٥ شعبان ٨٤٨هـ. خرج جمعٌ من المقرّبين الى الملك الظاهر وبعض خواصّه؛ لاستقبال القادمين، وأنزلهم في دار جمال الدين المحافظ في ناحية بين القصرين. ثم تَمَّ استقبالهم من قِبَلِ الملك الظاهر سلطان مصر يوم الاثنين ١١ رمضان ٨٤٨هـ. وكان قد أصدر السلطان أمراً بإعداد حفلٍ بهيٍّ ترحيباً بالضيوف،

وقد وصف السخاوي وابن تغري بردي ذلك الحفل بإسهاب وإطناب.

السّرقة تَطال المبعوثين:

بالرغم من أنَّ السلطان كان قد أمر بوضع ما أتىٰ به المبعوثون من الهدايا، وكذلك حُلّة الكعبة في مكان آمن وأمين، إلّا أنَّ مجموعة من المماليك الذين بلغ عددهم (٣٠٠) نفر قامت بالهجوم على الضيوف أثناء عودتهم من قصر السلطان الىٰ منزلهم، وسلبوا ما كان معهم من الهدايا والأشياء النفيسة الأُخرىٰ من كُتب وفُصوص وقِرَب وذهب وجلود..

وهُرِعَ اثنان من أمراء مصر وهما يلخجا (يل خواجة) وينال علايي دوادار والأمير تنبك حاجب الحجاب علىٰ إثر سماع صياح وأصوات المبعوثين الخراسانيين وانقذوهم من براثن اللّصوص.

السلطان يقدّم اعتذاره

ويروي عبد الرزاق السمرقندي أنّ السلطان تأثّر كثيراً بعد سماعه نبأ الهجوم على المبعوثين الخراسانيين وقال: لقد أغضَبَ المشاغبون صديقي وألّبوه عليَّ. فقدّم اعتذاره لخراسان، ثم أمر بإرجاع كلّ ما سُلِبَ إلىٰ أصحابه، وأغدق عليهم من الهدايا ما زاد عمّا فقدوه.

معاقبة اللّصوص:

عوقِبَ المماليك الذين قاموا بالهجوم على المبعوثين، وقطِعَت رواتب بعضهم، وقُيِّد البعض الآخر بالسلاسل وطيف بهم في طول المدينة وعرضها، ونوديَ بين الناس أنَّ هذا هو عقاب من يقوم بسرقة أموال حجّاج بيت الله.

ثم بعث سلطان مصر بحُجّاج مصريين رافقوا المبعوثين الخراسانيين إلىٰ مكّة، وعُلِّقت الحُلّة أخيراً داخل الكعبة في يوم عيد الأضحى المبارك، ثم عادَ المبعوثون الىٰ هرات بعد أدائهم مراسم الحجّ، وعند وصولهم الىٰ هناك قاموا بتقديم تقرير مفصّل عن رحلتهم تلك المليئة بالمغامرات الىٰ شاهرخ.

(المصادر)

ـ ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢ ص٢٤٤ ـ ٢٤٥.

ـ ابن تغري بردي يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٤، ص٧٧، ٢٦٥ ـ ٢٦٦، و ج١٥، ص٣٦٤ ـ ٣٦٦.

ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، أنباء الغمر بأبناء العمر، بيروت، ١٤٠٦هـ. ج٨، ص٤٩، ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

ـ خواند مير، غياث الدين محمد، حبيب السّير، طهران، ج٣، ص٦٢٦ ـ ٦٣٣.

ـ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل الملوك، القاهرة.

ـ عبد الرزاق السمرقندي، مطلع اليفسدين ومجمع البحرين، مخطوطة.

ـ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء، بيروت ١٤٠٧هـ.

ـ المقريزي، تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، صفحات مختلفة.